

مكتبة مصر  
تقدم  
مجموعة محمد وسعيد

# هذه وديعتك

إعداد أمير سعيد السحار



رسوم :  
عبد الرحمن بكر

الناشر  
مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدقي بالقاهرة

بينما كان عمرُ بن الخطابٍ منهمكاً في توزيعِ العطايا  
والهباتِ على مستحقيها ، وهو فرحٌ مسرورٌ بما يجدُ في هذه  
السبلِ من غنائٍ ونصيبٍ ، لأنه يبعثُ في نفسه بردَ الراحةِ ،  
ويشعرُ بقيامه بما يجبُ عليه نحوَ رعيتهِ ، التي ولي أمرها ، وخشي  
عاقبةَ التقصيرِ في أمرِ هذه الولاية التي شرفه اللهُ بها .

وكيف لا يكونُ كذلك وهو خليفةُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ  
عليه وسلّم ، الذي كانت حياته كلها وقفاً لخيرِ الإسلامِ  
والمسلمين ، ولم يهنُ في هذا السبيلِ ، ولم يضعُفْ ، وإنما ظل  
حافظاً للعهدِ ، مرابطاً يقظاً ، سعيداً بهذه الحال ..

وبينما كان عمرُ منهمكاً في التوزيعِ والتقسيمِ ، جاءه رجلٌ  
ومعه ابنٌ له ، فنظرَ إليه عمرُ طويلاً ، وقد أخذ منه المنظرُ  
ماخذاً عظيماً .. لم يكن الشبهُ بين الولدِ والرجلِ شبهاً معقولاً  
كما هو العادةُ في وجوهِ الشبهِ بين الآباءِ والأبناءِ ، وإنما كان  
شبهاً قوياً إلى حدِ يملكُ عليك نفسك ، ويجذبُ بصرك نحوَ  
الوالدِ والولدِ ، ويربطُ عينك إليهما فلا تكادُ تصرفُ عنهما  
الطرفَ بحالٍ من الأحوالِ ..



وكثير من الناس يكون الشبه كبيراً بينهم وبين آبائهم ، أو  
 بينهم وبين إخوانهم ، بيد أنه لابد من اختلاف نتيجة أن الولد  
 يجمع من والده ووالدته . أما أن يكمل الشبه فلا تكاد تجد  
 فرقاً إلا في الكبير والصغير ، وأن الوالد كبير والابن صغير ،  
 فهذا ما لا يكون غالباً بين الآباء والأبناء ، ولا بد مع هذا من









شبه بالأم ، أو بمن هو من ذوي قرباها . وإذا قيل : « الولد  
لخاله » فليس معنى هذا أنه ليس فيه شبهة من والده . وإذا قيل  
كذلك : « البنت لعمتها » فليس معنى هذا أنها لا تشبه أمها .  
وعمر بن الخطاب عري يفهم هذا ويدركه ، ويعلم حق  
العلم إلى أي حد يشبه الأبناء الآباء ، وهو الرجل الذي لا  
يقف عند كل صغيرة أو كبيرة ، وإنما يقف حيث لا مناص من  
الوقوف ، ولا مندوحة من التفكير . ولم يكتف عمر بالنظر  
والتطلع إليه في صمت وكفى .

ولكن ما رآه ليس كما يراه الناس في العادة ويدركونه ،  
وخاصة وقد رأى من تعلق الولد بوالده ما أدهشه ، ومن تعلق  
الوالد بابنه ما جعله ينظر إليه ويطل النظر ، وقد شاعت في  
وجهه بسمة مضيئة ، وأشرق في نفسه عاصفة وضاءة يشعر  
بها كل والد ، حينما يرى حبا متبادلا بين والد وولد ، وأب  
وابن .. أجل ، لم يكتف عمر بالنظر إليه في صمت ، ولكنه  
حادثه في حنان وشفقة قائلا :

— ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك .

وأشار إلى الولد في رحمة غامرة ، وكأنما هو يريد أن يحمله  
بين أحضانه بدلاً منه ، وانتظر قليلاً ، فأجابه الرجل :  
- هل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين ؟

قال عمرُ في لهفة :

- قل .

- كانت لي زوجة أحبها ، وأوثرها على نفسي ، ويعلم  
الله أن حبي لها كان بدافع خفي غريب ، أساسه حب  
الولد ، فكنت أرى أن الغاية من الزواج ليس هو المتعة  
فحسب ، والصلة بين الزوجين ، تقوى بينهما الأواصر ،  
وتتقيد الروابط ، على أتم ما يكون بين شخصين ،  
وإنما هو للنسل والذري التي تملأ البيت بركة ورحمة ،  
ورزقا ونورا .

وكانت زوجتي تعرف هذا عني ، وتفهمه تمام الفهم ، ولم  
تبخل على نفسها بالعناية والرعاية حينما أحست بالحمل ،  
وشعرت بالجنين يتحرك في أحشائها ، فكان هذا التعب الذي  
يشعر به غيرها أساس سعادتها ، وملاك متعتها وفرحها الغامر .











وظلت مدة الحمل تشبُّ من الفرح والغبطة كما يشبُّ الغزالُ  
الشاردُ ، لا تجدُ وهناً ، ولا يدركُها ضعفٌ ، حتى قرُبَ موعدُ  
الوضع .

واضطرتُّ إلى سفرٍ ، ما منه مقرٌ ، لشدة الحاجة إلى بعض  
الأشياء التي تعينني ، وتدخل فيما لا يمكن الاستغناء عنه ..  
وحاولتُ صرفَ النظر عن هذا السفر الطويل ، فلم أتمكنُ من  
هذا ، فقلتُ في نفسي : ولماذا أتجشّم هذا العناء ، وأفكرُ فيما  
لا يصحُّ أن أفكرَ فيه ؟ وماذا يفيدُها وجودي إذا أراد الله بها  
وبمن في بطنها - الضر ؟ !

وايقنتُ أن الله سبحانه وتعالى أرحمُ بها ، وبمن في بطنها  
منّي ، وأني لن أقدم لها ولوليدها من الخير إلا ما يجريه



سبحانه على يدي ، فإذا لم أكن بجانبها فإنه سبحانه وتعالى  
سيُسَرُّ لها من يكفيها أمرها ، ويوفر لها حاجتها . ويقضى لها  
ما تريد .

وتجهزت لهذا السفر الذي أريدته ، وعند ما أردت الخروج من  
الدار ، قالت لي زوجتي في ضراعة واسترحام :

- أخرج وتدعني على هذه الحال ؟ أعاني من آلام الحمل ما  
أقاومه بالفرحة الغامرة ، وأدأريه بالأمل القريب .. وإنك إذا  
خرجت إلى سفرك فسيجتمع عليّ ألمان ، ألم الحزن  
لفراقك ، وألم الحمل ، وما أشق آلام الحمل حينما أضعف  
بالتفكير لي بعدك ، إنها لتتهش القلب ، وتلدغ الفؤاد ،  
وتوهن القوى ، فلن أكون كما تعرف نشاطاً وعزماً وحزمًا ،  
بل سرعان ما يسود الخمول والوجوم .

وأحسنت لقلوبها صدى في نفسي ، وخفت أن يؤثر عليها  
الفراق فيتأثر الجين ، وربما أضرب به هذا إلى حد كبير ، ولكن  
سرعان ما ألهمني الله الجواب ، فما أيسر أن تلقى بحملك في  
أمانة الله ، الذي يرعى ما يؤتمن عليه رعاية تامة ، ويحفظه





لكَ على خيرٍ ما تصو إليه نفسك .

- أستودعُ اللهَ ما في بطنك .

وكأنما وقعت هذه الجملة برداً وسلاماً على زوجتي ،  
واستشعرت عظمة الله وجلاله ، وأن رعايته أتم وأوفى من  
رعايتي لها ولجنينها ، فهدأت نفسها الجياشة ، واطمأن فؤادها  
المضطرب ، وأمن قلبها الخائف ، وقالت في هدوءٍ وحنانٍ :  
- في سلامة الله ذهابك وأربتك .

\*\*\*

ومضيتُ إلى وجهتي ، هادئةً الخاطر ، مرتاحاً الضمير ، لا  
أفكرُ إلا في الجنين الذي استودعته الله ، ولم أفكرُ مرةً واحدةً  
في زوجتي التي تحمله في بطنها وهنا على وهي . ولستُ  
أدرى سبباً لهذا ، ولكن الواقع ما أقرره وأحكيه كما هو .  
وطال السفر ، وطال غيابي عن زوجتي وانقطعت أخبارها  
عني ، وأخباري عنها ، فليس من اليسر أن تتصل الأخبار في  
الصحارى والقفار ، إلى أن أذن الله بانقضاء مدة السفر ،  
وقضيتُ ما كنتُ أريدُ قضاءه ، ثم عدتُ إلى بيتي ، وكلتي







أمل أن أرى ولداً تركته في رعاية الله وكفّته ، وهذا ما وقع ،  
 فما كدت أصل حتى سألت عن ولدي الذي كان جنيناً حين  
 رحيلي فأخبرت بموت زوجتي ، وأنها تركت لي هذا الولد ،  
 وعدت إلى صواهي حين ذاك ، ولم تتم الفرحة ، فهذه المرأة  
 كنت أحبها ، وأوثرها على نفسي ، فهي طيبة إلى أبعد حد ،  
 تعرف حق الزوج على أكمل وجه ، وتعمل لكل ما يرضاه ألف  
 حساب وحساب .

وهنا أحسست كأنما ضاق صدري ضيقاً أظلمت معه  
 جوانب الحياة الرحيمة ، فلا تكاد تنفس أو تشعر بلذادة  
 الهواء ، وجمال النسيم .

ودمعت حينذاك عيناي ، ولكنها دموع غزيرة حارة ،  
 خلت أنها لذعت خدي ، وقرحت جفني ، وطاف بي طائف  
 غريب ، وكأنما أسمع صوتاً لا أتبين حقيقة أمره ، فأصحت في  
 انتباه وروعة ، وأنا أردد في نفسي : والله لقد كانت صوامعة  
 قوامعة . وإن فقدتها لخسارة . وفجأة استمعت إلى صوت خافت ،  
 ولكنه واضح النبرات ؛ وكأنما هو ملك من ملائكة السماء :







— إن هذا الغلام وديعتك ، ولو كنت استودعتنا أمه  
لوجدتها .

وانقطع الصوت ، ولم أَعُدْ أسمع شيئاً ، وهنا أَحَسْتُ بِحُرْقَةٍ  
تَكْوِي قَلْبِي وَفَوَادِي ، فَلَقَدْ ذَكَرْتُ أَنِّي لَمْ أَسْتَوْدِعْهَا اللَّهَ ..  
وَإِنَّمَا أَسْتَوْدَعْتُ اللَّهَ مَا فِي بَطْنِهَا فَحَسِبْتُ ، وَهَذَا كَانَ كُلُّ هَمِّي  
عِنْدَمَا هَمَمْتُ بِالسَّفَرِ !

وصمت الرجلُ مطرقاً مفكراً !

وصمت عمرُ احتراماً لصمته وتفكيره ، ثم قال مُسْلِياً لَهُ ،  
ومرفهاً عنه بعضَ ما يَبْذُ من حُرْقَةِ الْقِرَاقِ ، ومرارةِ الْأَسَى  
وَاللُّوْعَةِ :

— إنه لأشبهُ بك من الغرابِ بالغرابِ !

فبَسَمَ الرَّجُلُ ، ومضى يحملُ ابْنَهُ .. وبقيَ عمرُ راثياً لحاله ،  
داعياً لَهُ بِالصَّبْرِ وَالسَّلْوَانِ .. !

